

ورقة تطبيقية محلية مشتقة من مشروع «علم التخيل - هندسة الخيال»

تخيل مستقبل مدينة مساكن

من استكشاف الممكن إلى بناء السيناريوهات والاختيارات الاستراتيجية

إعداد: جمال بن محمد دورة - **Jamel Doura**

مرجع مفاهيمي: «علم التخيل (هندسة الخيال)»

ISBN المرجع: 9-348-01-9909-978

msaken.ovh | 2026

نوع الوثيقة: محتوى محلي أصلي يطبق هندسة الخيال على استشراف مستقبل مدينة مساكن، ولا يعيد نشر الملخص الأكاديمي للكتاب.

المنطلق

التخطيط للمستقبل لا يبدأ دائماً من سؤال «ماذا سنفعل؟»، بل من سؤال أسبق: «ما المستقبل الذي يمكن أن نصل إليه؟». هنا يأتي دور التخيّل المنهجي بوصفه أداة لاستكشاف الممكن قبل تثبيت القرار.

في مدينة مساكن، يمكن استخدام هذا المنهج لفتح التفكير في أكثر من صورة للمستقبل: مدينة تنمو دون تنظيم، مدينة تحافظ على واقعها الحالي، مدينة تعيد بناء أولوياتها، أو مدينة تستثمر بصورة منهجية في الإنسان والاقتصاد والبيئة والمعرفة.

1. فصل الممكن عن المرغوب

ليس كل مستقبل ممكن مستقبلاً مرغوباً. لذلك يجب أولاً توليد صور متعددة لما قد يحدث، ثم تقييمها وفق القيم والموارد والمخاطر. هذه المرحلة تمنع الخلط بين التوقع والرغبة، وتسمح برؤية مخاطر قد لا تظهر عندما يُبنى التخطيط على سيناريو واحد متفائل.

2. تحديد القوى المحركة

يبدأ بناء السيناريوهات بتحديد القوى التي يمكن أن تغير المدينة: السكان، فرص العمل، الهجرة، التكنولوجيا، الماء، الطاقة، التعليم، البنية التحتية، التحولات الاقتصادية، السلوك البيئي، وتغير العلاقات الاجتماعية.

بعض هذه القوى يمكن التأثير فيها محلياً، وبعضها يأتي من الخارج. فهم الفرق بينهما يساعد على تحديد ما يجب تغييره وما يجب الاستعداد له.

3. رصد عدم اليقين

هناك عوامل لا يمكن معرفة اتجاهها بدقة، مثل سرعة التحول الرقمي، حجم الاستثمار، تغير المناخ، أو أنماط الهجرة. هذه العوامل لا ينبغي تجاهلها؛ بل يجب بناء سيناريوهات مختلفة بحسب تطورها.

الهدف ليس التنبؤ بما سيحدث بدقة، وإنما جعل المدينة أكثر استعداداً لأكثر من احتمال.

4. بناء السيناريوهات

يمكن صياغة ثلاثة أو أربعة سيناريوهات متميزة لمستقبل مساكن. مثال أول: استمرار الاتجاهات الحالية دون تحول كبير. مثال ثان: ضغط اقتصادي وبيئي متزايد يضعف الخدمات. مثال ثالث: تحول تدريجي قائم على المعرفة والاستثمار المحلي. مثال رابع: قفزة مؤسسية تربط المدينة بشبكات وطنية ودولية.

كل سيناريو يجب أن يجيب عن أسئلة واضحة: كيف سيكون الاقتصاد؟ ماذا عن الشباب؟ ما وضع الأسرة؟ كيف ستكون البيئة والخدمات؟ وما نوع المؤسسات المطلوبة؟

5. اختبار القرارات داخل أكثر من مستقبل

قيمة السيناريوهات تظهر عندما نختبر القرارات داخلها. المشروع الذي ينجح فقط في مستقبل واحد قد يكون هشاً، بينما المشروع الذي يبقى مفيداً في أكثر من سيناريو يمتلك صلابة استراتيجية أكبر.

مثلاً، الاستثمار في المهارات الرقمية أو كفاءة استخدام الماء قد يبقى مفيداً في عدة سيناريوهات، حتى لو اختلفت الظروف الاقتصادية.

6. من الخيال إلى الاختيار

التخيل ليس بديلاً عن القرار. بعد استكشاف الممكن، تبدأ مرحلة الاختيار: أي مستقبل نريد؟ وما العناصر الواقعية التي يمكن البدء بها الآن؟

هنا يلتقي التخيل مع الذكاء والمنهج والقرار، ثم مع التخطيط الذي يحول الاختيار إلى برنامج ومشاريع ومؤشرات.

7. إشراك المجتمع في تخيل المدينة

يمكن تنظيم ورشات مستقبلية يشارك فيها الشباب، الجمعيات، المهنيون، المؤسسات، النساء، كبار السن والخبراء. ويُطلب من المشاركين وصف مدينة مساكن التي يريدون العيش فيها بعد عشر أو عشرين سنة، ثم تحليل شروط الوصول إليها.

المشاركة لا تعني اعتماد كل فكرة؛ قيمتها أنها توسع مجال الرؤية وتكشف احتياجات وفرصاً قد لا تظهر داخل الإدارة أو لدى فئة واحدة.

8. الخيال كأداة للوقاية

التخيل الاستراتيجي لا يستخدم فقط لصناعة مستقبل أفضل، بل أيضاً لتصور ما يمكن أن يسوء. ماذا لو اشتدت ندرة الماء؟ ماذا لو فقد قطاع اقتصادي أهميته؟ ماذا لو زادت هجرة الشباب؟

طرح هذه الأسئلة قبل وقوع الأزمة يسمح ببناء بدائل وخطط احتياطية ويقلل كلفة المفاجأة.

نموذج مبسط لمساكن

يمكن تلخيص العمل في ست مراحل: رصد التحولات، تحديد القوى المحركة، بناء سيناريوهات، اختبار الخيارات داخلها، اختيار المستقبل المرغوب، ثم تحويله إلى أولويات ومشاريع.

بهذا يتحول الخيال من نشاط ذهني حر إلى أداة منظمة تساعد على صناعة المستقبل دون الادعاء بإمكانية التنبؤ الكامل به.

الرسالة المركزية

المدينة التي لا تتخيل مستقبلها قد تجد نفسها تعيش مستقبلاً صاغته الظروف من دونها. أما التخيل المنهجي فيمنحها فرصة لرؤية البدائل قبل أن تصبح القرارات مكلفة أو الخيارات محدودة.